

البداية والنهاية

كلاما كثيرا فلما قام معاوية اتكأ على ذكوان وقال واﷺ ما سمعت خطيبا ليس رسول الله ﷺ ص
أبلغ من عائشة وقال محمد بن سعد حدثنا خالد بن مخلد البجلي ثنا سليمان بن بلال حدثني
علقمة ابن أبي علقمة عن أمه قالت قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة فأرسل إلى عائشة أن
ارسلى بانجانية رسول الله ﷺ ص وشعره فأرسلت به معى أحمله حتى دخلت به عليه فأخذ الانجانية
فلبسها وأخذ شعره فدعا بماء فغسله وشربه وأفاض على جلده وقال الأصمعي عن الهذلي عن
الشعبي قال لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقته رجال من وجوه قريش فقالوا الحمد
ﷺ الذى أعز نصرنا وأعلا أمرنا فما رد عليهم جوابا حتى دخل المدينة فقص المسجد وعلا المنبر
فحمد الله ﷺ وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني واﷺ ما وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم
لا تسرون بولايتي ولا تحبونها وإنى لما لم بما فى نفوسكم من ذلك ولكنى خالستكم بسيفي هذا
مخالسة ولقد رمت نفسى على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه وأردتها
على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفورا وأعظم هربا من ذلك وحاولتها على مثل سنيات عثمان
فأبت على وأين مثل هؤلاء ومن يقدر على أعمالهم هيهات أن يدرك فضلهم أحد ممن بعدهم رحمة
الله ﷻ ورضوانه عليهم غير أنى سلكت بها طريقا لى فيه منفعة ولكم فيه مثل ذلك ولكل فيه
مواكلة حسنة ومشاركة جميلة ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة فان لم تجدونى خيركم فأنا
خير لكم واﷺ لا أحمل السيف على من لا سيف معه ومهما تقدم مما علمتموه فقد جعلته دبر أذننى
وإن لم تجدونى أقوم بحقكم كله فارضوا منى ببعضه فانها بقابضة قوبها وإن السيل إذا جاء
يبرى وإن قل أغنى وإياكم والفتنة فلا تهتموا بها فانها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتورث
الاستيصال أستغفر الله ﷻ لى ولكم أستغفر الله ﷻ ثم نزل قال أهل اللغة القابضة البيضة والقوب
الفرخ قابت البيضة تقوب إذا انفلقت عن الفرخ .

والظاهر أن هذه الخطبة كانت عام حج فى سنة أربع وأربعين أو فى سنة خمسين لا فى عام
الجماعة وقال الليث حدثنى علوان بن صالح بن كيسان أن معاوية قدم المدينة أول حجة حجه
بعد اجتماع الناس عليه فليقيه ؟ ؟ الحسن والحسين ورجال من قريش فتوجه إلى دار عثمان بن
عفان فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباهما فقال معاوية لمن معه
انصرفوا إلى منازلكم فان لى حاجة فى هذه الدار فانصرفوا ودخل فسكن عائشة بنت عثمان
وأمرها بالكف وقال لها يا بنت أخى إن الناس أعطونا سلطاننا فأطهرنا لهم حلما تحته غضب
وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد فبعناهم هذا بهذا وباعونا هذا بهذا فان أعطيناهم غير ما
اشتروا منا شعوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم ومع كل إنسان منهم شيعته وهو يرى مكان

شیعته فان نکثناهم نکثوا بنا ثم لا ندري أتكون